أثر الحديث النبوي الشريف في شعر عبد الله عيسى لحيلح

▪ د. حنـــــان بومـــالي
قسم اللغة والأدب العربي
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف – ميلة
boumalihanan@yahoo.fr

الملخّص:

ليس من الغريب أن نجد الشعراء يميلون إلى الحديث الشريف، ويغترفون من هذا المنبع بعد القرآن الكريم، ويستلهمون أحكامه ليوظفوها في أشعارهم ويحتجون بها في إثبات آرائهم وأفكارهم، فضلا عن الارتقاء بشعرهم من خلال تزيينه بالحديث الشّريف، والذي يهب النّص الشعري شيئا من القدسية لكونه كلام الرّسول- صلى الله عليه وسلم-، ولعل هذه الدراسة أن تكشف سرّ الميل إلى الحديث الشريف في الشعر العربي، وتقف عند أسبابه ودوافعه، فضلا عن مكانته من خلال مقاربة شعر عبد الله عيسى لحيلح.

الكلمات المفتاحية: الحديث النبوي، الشعر العربي، استلهام، الشعراء، النص الشعري.

Summary:

It is not unusual to find poets tend to Hadith, scooping this upstream after the Qur'an, hauntingly provisions to hire her on notice and protesting in proof of opinions and ideas, as well as improve their hair through decorated with Hadith, which gives a poetic text something divine being speech Messenger-Allah bless him-and perhaps this study to reveal the secret tendency to Hadith in Arabic poetry, and stand upon its causes and motives as well as his standing through Allah Abdul Issa poem approach.

Key words: Hadith, Arabic poetry, inspiration, poets, poetic text.

Résumé :

Il n'est pas rare de trouver des poètes ont tendance aux Hadith, écopant c'en amont après le Coran, envoûtante des dispositions de l'embaucher sur avis et pour protester contre la preuve des opinions et des idées, ainsi que d'améliorer leurs cheveux par orné de Hadith, qui donne un texte poétique quelque chose de divin en discours Messager-Allah bénisse- et peut-être cette étude afin de révéler la secret tendance à Hadith dans la poésie arabe et

المنارة للاستشارات

tiens-toi sur ses causes et motivations ainsi que sa réputation grâce à l'approche de poem Abdul Allah Aïssa lahileh .

Mots clés : Hadith, inspiration, poètes, poésie arabe, un texte poétique.

مقدمة:

تعد المضامين الدينية من أكثر المضامين التي دخلت في شعر الشعراء وأقواها تأثيرا من المضامين الأخرى، لأنّ الدّين يعدّ من أهمّ الرّوافد التي تسهم في إغناء ثقافة الشاعر وتراثه الشعري، فالتراث الديني يرفد الشاعر بالعديد من القيم والأفكار والسّمات التي ترتبط بالعقيدة الإسلامية في شتى ميادينها؛ فضلا عن القيم والأفكار التي تتمثل بالعبادات والشعائر الدينية، وذلك بما يتضمّنه القرآن الكريم من الأسلوب المعجز والتعبير الدقيق لكل معنى من المعاني.

ونعني بالمضامين الدينية التراثية كل ما يدخل في إطار الدّين من مرجعيات دينية وما يتبعها من الأنساق الفكرية، وبما يعالج الرّوح الإنسانية ويوثق صلتها بربّها العظيم، وما يرتبط بمعايير العقيدة الإسلامية المتمثلة في القرآن الكريم وقصصه، وبالأحاديث النبوية الشريفة لرسولنا الكريم –صلى الله عليه وسلم–.[1] وجميع هذه المضامين الدينية دخلت في ذهنية الشاعر العربي عن طريق الاطلاع عليها، والتعامل معها فامتزجت في أفكاره وغذت ثقافته، فانطبعت على أشعاره، فضلا عن رسوخها في ذهنية المتلقي بما يضمن التواصل بينه وبين الشاعر، لتكتمل عملية الإبداع ويثمر فعل التلقي.

أولا– مفهوم التراث:

إنّ التعاقب الزمني يحفظ للأجيال جميعا أدوارها الحقيقية بتقويم موضوعي غير مهتز باندفاع وحماسة عاطفيتين سائبتين أو عقول محافظة

المنارة للاستشارات

متحجرة، فالتراث ليس أثرا في متحف نتطلع إليه، لأنّنا نستطيع أن نبدعه من جديد بتطويره ونقده واستيعابه جزءا من حياتنا لا انفصام بينه وبينها، يثرى به الحاضر ويأتي إليه المستقبل بإدراك وتماسك وثقة ووعي.

ومن السذاجة أن نؤمن بمنافسة قائمة بين الطريقتين، أو أنّ الجديد يحاول إلغاء القديم، أو أنّ القديم أمام الجديد، فالأول منطلق للثاني وأساس وركيزة، وروائع الشعر الجديد هي دعم لروائع الشعر القديم، لأن فاعلية التراث فاعلية لغوية قبل أيّ شيء آخر.[2] والدين يدخل في مخزون الشاعر التراثي لإغناء شعره وإظهاره على أحسن صورة، ولا عيب عليه في ذلك إذا أحسن استغلاله وأجاد استثماره.

1- التراث لغة:

تكاد تتفق المعاجم اللغوية في تعريف التراث لغة، وقد ورد فيها على أصله وهي مادة "ورث"، لأن التراث أصل تائه واو[3] ، والتراث من ورث الشيء يرثه ورثا ووراثة وإراثه.[4] ويبينه ابن فارس بأنه «أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب»[5]، ولا نكاد نظفر في معاجم اللغة على مفهوم كلمة "تراث" الحالي، إذ تذهب معظم هذه المعاجم إلى معنى "الإرث" وهو ما يخلفه الميت من مال فيورث عنه.[6] وبهذا المعنى وردت اللفظة في القرآن الكريم ﴿ **وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا** ﴾(الفجر/19). وكذلك ما جاء في دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم– « **ولك ربي تراثي**»[7]، وفي معلقة عمر وبن كلثوم حين يقول:

وعتابا وكلثوما جميعا بهم نلنا تراث الأكرمينا.[8]

ممّا تقدم يمكن الخروج بحقيقة هذه اللفظة، والتي تحمل مدلولين: فأمّا الأول فهو التراث المادي، وهو كلّ ما تخلّف من أمور مادية كالأموال

المنارة للاستشارات

وغيرها، وهذا ما نصّت عليه المعاجم القديمة والقرآن الكريم، وأمّا الآخر فهو التراث المعنوي، وهو كلّ ما تخلّف من أمور معنوية من مآثر ومفاخر وغيرها.

ومن هذا النوع ما أشار إليه الحديث الشريف والشعر العربي، وما اقتصرت عليه دلالة اللفظة حديثا، إذ «ظلّت كلمة "التراث" محدودة الاستعمال تنوب عن أختها "الميراث" في كثير من الأمور إلى أن أطلّ علينا العصر الحديث، فوجدنا هذه الكلمة تشيع بشيوع البحث عن الماضي، ماضي التاريخ وماضي الحضارة، والفن، والأدب، والعلم، والقصص، وكل ما يمتّ إلى القديم».[9]

وهذا يعني أن التراث يمكن أن يكون من مخلفات فرد واحد أو مجموعة أفراد أو جيل بكامله يخلده التاريخ لما فيه من قيمة في ذاته، يؤثر فيمن جاء بعدهم ويعتزون به ويعدونه جذورهم التي يتغذون منها لمواصلة حضارتهم العريقة، على اختلاف أنواع وأشكال هذا التراث سواء أكان تاريخيا أم أدبيا أم دينيا... أو غير ذلك، وإلى هذا الأخير ينتمي الحديث النبوي الشريف.

2- التراث اصطلاحا:

يعرف التراث بأنّه « ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي والخلقي يوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه»[10]، ولكن التراث ليس مجرد تراكم لهذه الخبرات والمعارف فقط، وإنما هو «اعتراف أمام الذات والعالم، اعتراف بشخصية لها وجودها التاريخي والنفسي»[11]،

المنارة للاستشارات

وشخصية النبي –صلى الله عليه وسلم– معترف بها وبوجودها التاريخي والنفسي، بل إنّه – صلى الله عليه وسلم– شخصية لا يوجد ولن يوجد نظير لها في العالم العربي أو الغربي.

وقريب من التعريف السّابق للتراث نجد تعريفا آخر، وهو أنّه يعني « ما خلفه السّلف من أثار علمية وفنية وأدبية، مما يعتبر نفيسا بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه».[12] أمّا تحديد زمن التراث فليس من السّهل؛ لأنّه «عالم واسع لا يحتويه زمان أو مكان، لو ارتبط بأي منهما تحديدا، لأنحسر وفقد حيويته وطاقته».[13]

لهذا لا يمكن لأي أديب أن ينقطع عن التراث مهما بدا مجددا، لأنه لا يستطيع أن يبدأ ما لم يعتمد على جدار راسخ من التراث، لينطلق منه دون أن يقتلع جذوره، خاصّة وأن الشاعر يغذي عواطفه وعقله على مآثر الماضي، وهذه التغذية من الماضي لا تعني أن يكرّر الشاعر ما قاله أسلافه، بل يعني استلهام هذا التراث ووعيه والتجديد فيه وإلباسه روح العصر ليظهر بالمظهر المناسب،[14] ولا غرو في أن الحديث النبوي الشريف أحد هذه المضامين التراثية التي يعيها الشاعر العربي ويقدّمها على شكل كنايات وأقنعة ورموز ورؤى.

ثانيا– الحديث الشريف بين اللغة والإصلاح:

يقول الإمام ابن حزم الظاهري: «الوحي ينقسم من الله –عز وجل– إلى رسوله –صلى الله عليه وسلم– على قسمين: أحدهما وحي متلوٌّ مؤلَّف تأليفا معجز النظام، وهو القرآن والثاني وحيٌّ مرويٌّ، منقول، غير مؤلَّف، ولا معجز النظام، ومتلوّ، لكنه مقروء، وهو الخبر الوارد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وهو المبين عن الله –عز وجل– مراده منّا»,[15] وعلى

المنارة للاستشارات

هذا فإنّ القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف يتفقان وحيا ومعنى، ويختلفان لفظا ونظما، ولذا لابد من الوقوف عند الدلالة المعجمية والاصطلاحية للفظة الحديث.

1- الحديث لغة:

تتفق معظم المعاجم العربية على معنى الجدة، كقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: « الحاء والدال والثاء: أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن، يقال: حدث أمر بعد أن لم يكن... والحديث من هذا، لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء»,[16] وإطلاق "الحديث" على الكلام يعدّ فرعا من الأصل الذي هو «نقيض القديم»[17]. كما جاء في لسان العرب؛ الحديث: الخبر، [18] وقال تعالى: ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾(سبأ/19)؛ أي أخبار. وعليه فإن الحديث لغة يأخذ معنى الجدّة التي هي ضد القدامة، أو هو الأخبار من قول أو فعل أو تقرير.

2- الحديث اصطلاحا:

الحديث « قول النبي وفعله وتقريره وصفته حتى في الحركات والسكنات في اليقظة والمنام»[19] وجاء في كليات أبي البقاء المعنى نفسه، حيث إنّ « الحديث هو اسم من التحديث وهو الأخبار، ثم سمي به قول، أو فعل، أو تقرير نسب إلى النبي عليه الصلاة والسلام»[20].

ومن علماء الحديث والأصول من أدخل في تعريف الحديث ما كان من أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم[21]، ولكن الغالب أن يقيّد إذا ما أريد به غير النبي –صلى الله عليه وسلم–[22]. وكثيرا ما يستعاض عن لفظ "الحديث" بألفاظ أخرى تقترب وتبتعد عن معناه على حسب التوجيه الذي يرتئيه

المنارة للاستشارات

العلماء، ولعلّ أقرب تلك الألفاظ إلى الحديث وألصقها به: السنة، الخبر، الأثر.

ثالثا- مكانة الحديث وأثره في الشعر العربي:

لقد كان للثقافة الدينية أثر واضح في الشعر العربي يسترفدونها ويستوحونها في شتّى فنونهم وأقوالهم، والتواصل قائم بين الدين والشاعر العربي لم ينقطع منذ بزوغ شمس الإسلام وإلى يومنا هذا، فضلا عن الاتّصال مع المتلقي الذي يشاركهم هو الآخر متأثرا بالدين، ويمكن له أن يميز إبداع الشاعر من خلال هضمه للمضامين الدينية في هذا الجانب، مما يدفع الشاعر إلى محاولة الإتيان بفكرة جديدة كان يغفل عنها المتلقي؛ أو تهز شعوره أو تكسر أفق توقعه بإظهار القيمة الدينية بأسلوب وبفكرة لم تخطر على بال المتلقي.

وهذا الأمر يجعل الشاعر في صراع دائم في محاولة الاغتراف والنّهل من هذا المعجز البليغ المتمثل في القرآن الكريم والحديث الشريف، ومحاولة الإتيان بكل ما هو جديد للقارئ، فضلا عن أن الاقتراب من الدين يسمو بالشعر ويقوى حجته، لأن الدين منزل من لدن حكيم خبير لا تشوب حقائقه شائبة منذ نزوله إلى قيام السّاعة.[23]

ولما كان حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- وحي من الله -عز وجل- ومعصوم عن الخطأ، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(النجم/3-4)، فإنّ كلامه -صلى الله عليه وسلم- لا يداخله شك أو خلط فهو يأتي بعد القرآن الكريم في الأسلوب والمعنى، كما « يعد أولّ أسلوب عربي قرآني هو أسلوب الرّسول -صلى الله عليه وسلم - وكل الأساليب العربية متصلة به».[24]

المنارة للاستشارات

فضلا عن أنه مفصل لما جاء في القرآن الكريم، لأن القرآن جاء بالأحكام الشرعية وأصول الدين بشكل موجز ومختصر دون أن يفصل القول في مسائل كثيرة، فجاء الحديث النبوي « مفصلا أحكام الشرع ومبادئه وعلم المسلمين كل صغيرة وكبيرة، فكان بذلك مفسرا للقرآن الكريم ومفصلا لحدوده ومبينا لأحكامه».[25]

وليس من الغريب أن نجد الشعراء يميلون إلى الحديث الشريف، ويغترفون من هذا المنبع الثري والإسلامي بعد القرآن الكريم ويستلهمون أحكامه ليوظفوها في أشعارهم، ويحتجون بها في إثبات آرائهم وأفكارهم، وما يرمون الوصول إليه، فضلا عن الارتقاء بشعرهم من خلال تزيينه بالحديث الشريف الذي يهب النص شيئا من القدسية لكونه كلام الرسول الأعظم –صلى الله عليه وسلم–.

ولعل هذا الميل إلى الحديث النبوي الشريف يعود إلى «إيمان الشاعر العربي وحبّه للرسول –صلى الله عليه وسلم– فضلا عمّا يغنيهم الحديث من معاني جديدة يوظفونها في أشعارهم عن طريق الاقتباس سواء النصي أو الإشاري»[26]، فضلا عن دخول الحديث كرافد من روافد التراث التي أغنت ثقافة الشاعر العربي الدينية من عبر وحكم وقصص، فاستلهمه الشعراء ووظفوه في أشعارهم ووقفوا عند أحكامه وقيمه.

والحقيقة أنّ للحديث النبوي الشريف الأثر البالغ في بناء الشعر العربي على مر العصور، وتكوين الفكر الإسلامي للشعراء، فقد عمل على نشر الوعي الديني في كلّ ربع من العالم الإسلامي بفصاحته وإعجازه، خاصة وأن النبي الأعظم –صلى الله عليه وسلم– قد طبع على الفصاحة المتميزة، ويكني عما اضطره الكلام استقباحا للتصريح، مما جعل كلامه قمّة الإعجاز البياني، فهو «الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول،

المنارة للاستشارات

وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكـــلام، مـــع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته. لم تسقط له كلمـــة ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، وأفحمه خطيب... »[27].

رابعا- الاقتباس من الحديث الشريف عند عيسى لحيلح

إنّ الحديث عن شعر عبد الله عيسى لحيلح هو حديث ينفتح على روح شعرية متوثبة، ومعين لا ينضب من الدلالات والأشكال، بل نراه يتجدّد باستمرار دون أن تستنفده القراءات، وهو أيضا ينفتح على انبثاقة شعرية مذهلة، حيث يجد المتتبع لشعره تأثرا دينيا كبيرا، وهذا راجع إلى تنشئته الدينية، فقد التحق بمسجد القرية في سن مبكرة، وحفظ قسطا من القرآن الكريم؛ لذا جاء شعره صورة حية عن شاعر تعلق قلبه بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فتمثله في أشعاره، حيث هيمنت الرؤية الشعرية المنبثقة عن الموروث الديني على مساحات واسعة من شعره، وأصبح النص الديني بؤرة مركزية مولدة كثيرة الإيحاءات والأفكار، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أمرين:

فأمّا الأول فهو أن الموروث الديني منهل ثرّ عذب، والحديث النبوي الشريف رافد مهم، وذلك لغنى ألفاظه ومفرداته بطاقات لا تنفد وأسلوبه البياني المعجز، وبلاغته المشرقة، إضافة لاحتوائه قيما فكرية واجتماعية وأخلاقية وسياسية... وغير ذلك.

وأما الآخر فهي التنشئة الدينية التي حظي بها الشاعر عبد الله عيسى لحيلح.

وذلك ما جعل الحديث النبوي الشريف مصدرا مهما من مصادر التجربة الشعرية لدى لحيلح، حيث نهل من ينابيعه، وتفيأ بظلاله، ما جعله

المنارة للاستشارات

يفجر طاقاته الدلالية، ويفيد من ذلك في إكساب تجربته الشعرية قيما إنسانية وفضائل أخلاقية، ولقد وظف عيسى لحيلح الحديث الشريف في منجزه الشعري بطريقة الاقتباس الإشاري في أغلب المواضع الوارد فيها. ويقف المتلقي عند هذا الشكل من الاقتباس في قصيدته "أول البوح" حين يقول:

وهذا الموج اللاهث في عينيك يعرينا من جسدينا
ويدثر روحينا بالملح القديم...
تلك لعبة الجزر والمد...
فاستعدي الآن للشد...[28]

يشير الشاعر في البيت الثاني إلى قول الرسول –صلى الله عليه وسلم– في حديثه عن الأرواح «جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[29]، والشاعر إذ يستلهم هذا الحديث الشريف يوشي قصيدته بعبق عطره الذي يفوح بسحره ودلالته على الأبيات الشعرية، والتي أراد الشاعر فيها أن يبين أن ليس كل قريب ببدنه هو قريب من الروح، ولكن التقارب يكون بالأرواح قبل الأجساد.

وقد يأتي الشاعر بالحديث النبوي الشريف شاهدا وحجة على أمر يدعو إليه، فمن ذلك ما جاء في قصيدته "وشم على زند قريشي"، يرغب فيها بالجهاد على الخيل المسومة، ويبشر بخير قادم يخرج الأمة العربية من ظلامها وواقعها المؤلم، مستلهما قول النبي الأعظم – صلى الله عليه وسلم– «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[30]، فيقول الشاعر:

هلمي خيول الله نوقظ غافيا ونبعث إسلاما وشعبا مخدرا
أطلي فقد ملّ الخواء خواءنا وكلّ الذي جمعت يا خيل بعثرا
وذلت قريش في أواخر عمرها وعزّ الذي أذللت يا خيل... أمرا
أطلي خيول الله... دوسي وجدّدي هوانا... رؤانا... وحدينا لنبصرا[31]

المنارة للاستشارات

وبطريقة الاقتباس الإشاري دائما، يستلهم عيسى لحيلح قول النبي – صلى الله عليه وسلم– «مالي وللدنيا ما أنا والدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[32]، وذلك في قصيدته "نداء إلى أبي الطيب المتنبي" حين يقول:

وما خنت، إن خانوا، وراحوا لغيهم يولون أمر الركب فيهم مكاريا
فيوردهم نبع السراب وظله وكل بقيح عن جراحه لاهيا!
أنادي... أنادي! من تنادي؟ فكلهم عموا ثم صموا عن جميل ندائيا[33]

يشير الشاعر في عجز البيت الأول إلى الحديث الشريف السابق من أن الدنيا فانية ونحن فيها راحلون، كالمسافر يمر بشجرة ويستظل بظلها ثم يسير ويتركها راحلا، وحاول الشاعر استلهام هذا الحديث ليعبر عن موقفه من الحياة الفانية، وتجاهل بني البشر لذلك.

واختلفت نسبة الاقتباس من الحديث الشريف عند الشاعر من قصيدة إلى أخرى، ومما لا شك فيه أن للموروث الديني الذي يمتلكه الشاعر دورا في ذلك، فكان حبّه للنبي –صلى الله عليه وسلم– والاقتداء به أساس الاقتباس عنده، ومن أروع الاقتباسات المتوافقة مع نص الحديث الشريف ما نقرأه في قوله:

لتبكوا!... فلا حر سواها قيودنا فيا أيها الحمقى، كفاكم تغابيا
عصور تولي، من تولى لدينها وتشنق حرا، ثم تغتال بانيا
وهل ساوت الدنيا جناح بعوضة يوشوش حولي، للغواية غاويا
فما ضرّني إن ضاع مني غثاؤها وألقى إلهي في يميني كتابيا[34]

يستلهم الشاعر عن طريق الاقتباس الإشاري حديث الرسول –صلى الله عليه وسلم– «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد

المنارة للاستشارات

لها دينها»[35]، والشاعر إذ يشير إلى هذا الحديث يحاول استنهاض همة الشعب العربي الغارق في ظلامه وعجزه وواقعه المؤلم من جهة، وتحقيق نبوة النبي – في «ظهور الذي تمنى أن يكون هو من يجسد هذه النبوة من جهة أخرى، وأن يكون الإمام العادل للمسلمين».[36]

من المضامين الأخرى التي يضمنها عيسى لحيلح من الحديث الشريف ما يقتبسه من حديث الرسول – «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**»[37]، وذلك حين يقول:

ويلهو يمين بالشعوب مخادعا ولا بأس أن يمسي اليمين يساريا

ويبغي يسار في الحياة تيمنا فيهفو يمين لليسار مصافيا

وعلمت أقلامي، وحبر محابري شموخا فشدت للنجوم رحاليا[38]

نلحظ في البيت الأخير أن الشاعر أقرب إلى الاقتباس النصي الجزئي من الحديث الشريف، ففي عجز البيت (فشدت للنجوم رحاليا) قد أتى ببداية نص الحديث مع إدخال كلمة "النجوم" ليستقيم الوزن، فضلا عن تأكيد مهمته النبيلة وهي عدم الخضوع والخنوع وإن كلف ذلك الرحال إلى النجوم (يدل البقاع الثلاث المذكورة في الحديث)، المهم أن يؤدي الشاعر رسالته النضالية.

وفي دعوة الشاعر إلى العفّة وحسن الخلق والابتعاد عن المحرمات، لأن الفؤاد يتبع البصر، والحكم يضيع البصيرة، يحتج لرأيه بحديث النبي – صلى الله عليه وسلم– «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة**... »[39]، ويجسد ذلك عن طريق الاقتباس الإشاري في قوله:

فيا "متنبي" أنت علمت فاتكا طعانا... فجاء الطعن منه مجازيا

وكم في الشعوب اليوم من "فاتك" "أبو المسك" أمسى في الجماهير زانيا[40]

المنارة للاستشارات

في هذين البيتين دعوة غير صريحة من الشاعر إلى حسن الأخلاق وهي من سمات ثقافة الشاعر الإسلامية، التي كان يلتزم بها، ويوصي بها نفسه قبل الآخرين.

ومما أفاده الشاعر من حديث النبي الأعظم –صلى الله عليه وسلم– قوله: «الشفاء في ثلاث: شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنا أنهى أمتي عن الكي»[41] وذلك في وصفه للغة الضاد وما لحقها من تزييف وتحريف قائلا:

واسكب حروفك كالإشراق مشرقة إذ اللسان لقيح القيح منسوب
واقطع تفرنسه... اقطع فأنت لها فالاحتلال بسط الضرس منسوب
واصبر وصابر، واربط، واقتلع غصنا فالجزء كل، بجزء الكل مضروب
إن تنزف الضاد قيحا من تطهرها فالكي والفصد للتطهير مطلوب[42]

إن غيرة الشاعر على لغة القرآن الكريم، جعلته يصف حروفه بأنها مشرقة وأن الاحتلال مكانه في الشط لا الوسط، ويواسي نفسه بمداواة لغة الضاد إن نزفت بإحدى الطرق التي أوصانا الحبيب المصطفى –صلى الله عليه وسلم– بالمداواة بها، وذكر في مقدمتها الكي وإن كان النبي الأعظم –صلى الله عليه وسلم– قد نهى عنه، ولكنه يختار الكي لاستئصال الورم الحاصل في لغة الضاد (التفرنس).

هكذا التقط الشاعر عبد الله عيسى لحيلح دلالات وايحاءات استمدها من الحديث النبوي الشريف ووظفها في انزياحات جديدة وصاغها صياغة تتناسب وتجربته الشعرية، حيث غير في البناء اللفظي والأسلوبي عن طريق الاقتباس الإشاري في كلمة أو كلمتين نابعة من عملية حفر وتفجير الدلالات الكامنة في الحديث النبوي الشريف.

المنارة للاستشارات

خاتمة:

في الأخير يجدر بنا القول إن حضور الحديث النبوي الشريف في الشعر العربي لا يقلّ أهمية عمّا ضمنوه من القرآن الكريم، وإن كان القرآن الكريم هو المنبع الأول والمصدر الأساسي في ثقافة الشاعر فضلا عن أنه أساس العقيدة الإسلامية من جهة، وتنوع أساليبه بين التشريع والوعظ والجزاء والوعد والوعيد والقصص القرآني والأسلوب الإيجازي التعجيزي الذي تحدى به الخالق – عزّ وجل– العرب من جهة أخرى.

ومن المعتاد أن يأتي الحديث النبوي الشريف وهو كلام الرسول – صلى الله عليه وسلم– في المرتبة الثانية فهو ملهم من المولى –عز وجل–، وملهم للشعراء العرب، ولعل عبد الله عيسى لحيلح صورة للشاعر العربي الذي حفلت أشعاره بنص الحديث الشريف، مما يدل على تشربه نصوصه وهضمه دلالاته ومعانيه، والقدرة على استثمار كنوزه، وتوظيف قيمة في المنجز الشعري له بانتقائية دقيقة... مما يكسب تجربته الشعرية نوعا من التميز والتفرد، وينقذه من الجمود والجفاف ويوسع آفاق متلقيه.

والحديث النبوي الشريف كان رافدا جوهريا من روافد صياغة النسق الشعري للشاعر، وبناء تراكيبه ونظم جمله، ويعد الاقتباس الإشاري من أنجع الوسائل التعبيرية التي مارسها لحيلح لبعث رؤيته الشعرية وإثارة ذهن المتلقي ليبقى متحفزا لفعل التلقي القرائي، ومن هنا أصبح توظيف الحديث النبوي الشريف في الشعر تعزيزا قويا لشاعرية الشعراء، ودعما لاستمراره في ذاكرة الإنسان.

المنارة للاستشارات

هوامش:

1- جمعة حسين يوسف الجبوري: المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين الموحدين. دار صفاء للنشر والتوزيع: عمان. مؤسسة دار الصادق الثقافية: العراق. ط1. 2012م. ص39.

2- جلال الخياط: الشعر العراقي الحديث "مرحلة وتطور". دار الرائد العربي. بيروت. ط1. 1958م. ص131.

3- الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين. تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي. دار الرشيد: بغداد. 1980م. ج8. ص234. مادة ورث.

4- ابن منظور: لسان العرب. دار صادر: بيروت. ط1. مادة ورث.

5- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. مادة ورث. تح: عبد السلام هارون. دار الجيل: بيروت. ط2. 1999م. مادة ورث.

6- مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. تح: مجموعة من المحققين. دار الهداية. مادة ورث.

7- محمد أبو عيسى الترميذي السلمي: الجامع الصحيح سنن الترميذي. تح: أحمد محمد شاكر وآخرون. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ج2. ح237.

8- أحمد بن الأمين الشنقيطي: شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها. مكتبة النهضة: بغداد. 1988م. ص116.

9- عبد السلام هارون: التراث العربي. دار المعارف: القاهرة. مجموعة كتابك. ع37. 1981م. ص5.

10- جبور عبد النور: المعجم الأدبي. دار العلم للملايين: بيروت. ط1. 1979م. ص63.

11- جمعة حسين يوسف الجبوري: المضامين التراثية في الشعر الأندلسي. ص22.

12- مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب. لبنان. 1979م. ص53.

13- جمعة حسين يوسف الجبوري: المضامين التراثية في الشعر الأندلسي. ص22.

14- المرجع نفسه. ص27.

المنارة للاستشارات

15- أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري: الإحكام في أصول الأحكام. تح: أحمد محمد شاكر. مطبعة السعادة: مصر. 1347هـ.ج1. ص97.
16- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج2. ص36. مادة حدث/ الأزهري: تهذيب اللغة. ج4. ص405/ ابن دريد: الجمهرة. ج2. ص34.
17- المرجع نفسه.ج3. ص76. مادة حدث.
18- ابن منظور: لسان العرب. ج1. ص581. مادة حدث.
19- شمس الدين السخاوي: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث. تح: علي حسين علي. المطبعة السلفية: الهند. 1987م. ج1. ص8.
20- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكليات. بولاق. ط2. 1281هـ. ص152.
21- منهم السيوطي (تدريب الراوي)، أبو شبهة (أعلام المحدثين)، محمد الخضر حسين (دراسات في العربية).
22- محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين. مكتبة وهبة: القاهرة. ط1. 1963م. ص22.
23- جمعة حسين يوسف الجبوري: المضامين التراثية في الشعر الأندلسي. ص40
24- أنور الجندي: خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث. دار العلوم للطباعة: القاهرة. ص153.
25- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي "العصر الإسلامي". دار المعارف: مصر. ط4. 1960م. ص41.
26- جمعة حسين يوسف الجبوري: المضامين التراثية في الشعر الأندلسي. ص.67
27- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين. تح. عبد السلام هارون. مكتبة لجنة التأليف: القاهرة. ط1. 1948م. ج2. ص17-18.
28-عبد الله عيسى لحيلح: وشم على زند قريشي. دار البعث: قسنطينة. ط1. 1985م. ص4.
29- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: صحيح مسلم. تح: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ج4. ح2031.
30- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: صحيح البخاري. تح: مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير: بيروت. ط3. 1987م. ج3. ح1047.

المنارة للاستشارات

31- عبد الله عيسى لحيلح: وشم على زند قريشي. ص8.
32- أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني: مسند لإمام أحمد بن حنبل. مؤسسة قرطبة: مصر. ج1. ح391.
33- عبد الله عيسى لحيلح: وشم على زند قريشي. ص12-13.
34- المصدر نفسه. ص16.17.
35- سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي: سنن أبي داود. تح: محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر. ج4. ص109.
36- جمعة حسين يوسف الجبوري: المضامين التراثية في الشعر الأندلسي. ص69.
37- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي: صحيح البخاري. ج1. ص398.
38- عبد الله عيسى لحيلح: وشم على زند قريشي. ص17.
39- أبو داود السجستاني: سنن أبي داود. ج2. ح246.
40- عبد الله عيسى لحيلح: وشم على زند قريشي. ص17.
41- أبو عبد الله البخاري: صحيح البخاري. ج2. ص3473.
42- عبد الله عيسى لحيلح: وشم على زند قريشي. ص31.

المنارة للاستشارات